

## كيف يمكن لقرار محكمة العدل الدولية أن يكسر الحصار الإسرائيلي على غزة؟



ترجمة وتحرير نون بوست

إن القرار الذي أصدرته محكمة العدل الدولية يوم الجمعة زرع الموقف الغربي الداعم للحرب الخاطفة الإسرائيلية على غزة، المستمرة منذ ما يقارب أربعة أشهر. وهو ينص على أن ما يجري في غزة ليس حربًا تهدف إلى دحر جماعة مسلحة معادية، بل إلى شلّ شعب وأمة. ولا يمكن أن يكون هناك حكم قانوني أكثر أهمية في تاريخ الصراع وبالتأكيد في القرن الحالي.

يُعيد هذا الحكم ترسيخ أخلاقيات وحياد ومكانة القانون الدولي، وسيُظهر الحصانة التي تتمتع بها "إسرائيل" من قبل مورّدي الأسلحة الرئيسيين وداعميها على حقيقتها - التي تعد بمثابة ترخيص بالقتل. لا يمكن أن تكون هناك فجوة أكبر في موقف الإدارة الأمريكية التي زعمت بشكل زائف أن "الدبلوماسية عادت للواجهة"، ثم واصلت الدفاع عن نفسها وتنفيذ أكثر عمليات القصف دموية في التاريخ الحديث لهذا الصراع.

إن "إسرائيل" الآن في قفص الاتهام بتهمة الإبادة الجماعية وستكون ملزمة بتقديم تقرير إلى المحكمة في غضون شهر، لكي تراجع جنوب أفريقيا - المدعية - التدابير التي اتخذتها لمنع التحريض على الإبادة الجماعية والإبادة الجماعية نفسها والسماح بالمزيد من إدخال المساعدات لغزة.

نعم، هناك خيبة أمل لأن محكمة العدل الدولية لم تصل إلى حد المطالبة بوقف فوري لإطلاق النار. لقد فعلت المحكمة ذلك على أساس قانوني مفاده أن طرفًا واحدًا فقط في هذه الحرب يُعترف به كدولة. وفي الواقع، لا يحتاج الفلسطينيون إلى حكم قضائي يؤكد معاناتهم. لقد كانوا يتوقعون إجراءً من شأنه أن يُنهي هذه الإبادة الجماعية، بدلًا من وضع الكرة في ملعب "إسرائيل" للتصرف بطريقة يعلم الجميع أنها لن تطبقها ذلك، ولكن "إسرائيل" أشارت بالفعل إلى اعتزامها تجاهل أي حكم صادر عن محكمة العدل الدولية، وعلى هذا فلا ينبغي لـ "إسرائيل" أن تتطلع إلى تغيير هذا الوضع.

إن السلطة الوحيدة لقرار محكمة العدل الدولية هي تغيير السياسة الغربية، مما يسمح لوزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن بالتصرف كما لو أن واشنطن عاجزة عن وقف المذبحة اليومية. ومن الواضح أن ذلك ليس حقيقياً.

## إلحاح واضح

إن حكماً كهذا يوفر أيضاً القوة التي تشتد الحاجة إليها في العديد من الدعاوى القضائية حول العالم التي تنطوي على تهمة جرائم حرب أقل أهمية، ولكنها على نفس القدر من الأهمية. وإذا كان تصنيف الفصل العنصري بمثابة ضربة قوية لمحاولات "إسرائيل" ترسيخ نفسها كدولة ديمقراطية غربية طبيعية، فمن المؤكد أن تسمية الإبادة الجماعية تدق مسامراً في نعشها.

من الواضح أن المحكمة لم تصدق الدفاع الإسرائيلي، وفي إصدار الحكم، استخدمت رئيسة محكمة العدل الدولية جوان دونوغ الأدلة المقدمة من جنوب أفريقيا على نطاق واسع. إن فريق جنوب أفريقيا على حق في ادعاء النصر.

مدى إلحاح هذا الحكم واضح ليراه الجميع. يواجه أكثر من 750 ألف شخص "جوعاً كارثياً" في غزة، وفقاً للأمم المتحدة. ويؤدي نقص المياه النظيفة إلى ارتفاع كبير في الأمراض المنقولة بالمياه، مثل الإسهال، وهو أحد الأسباب الرئيسية لوفاة الأطفال. وقد سُجِّلت بالفعل 158 ألف حالة، وحذرت الأمم المتحدة من أن عدة آلاف من الأطفال قد يموتون بسبب الإسهال قبل أن يجوعوا حتى الموت.

لم يعد هناك سوى 15 مخبراً من أصل 97 مخبراً يعمل في غزة بعد ثلاثة أشهر ونصف من القصف الإسرائيلي. وفي وسط غزة، فإن النقص في القمح حاد للغاية لدرجة أن الناس يخلطون علف الطيور وعلف الحيوانات في العجين.

في هذه الأثناء، تعمل جرافات الجيش جاهدة على جرف البساتين والحقول الأكثر خصوبة في غزة. والهدف المباشر هو إنشاء منطقة أمنية، لكن الهدف الاستراتيجي هو ضمان عدم قدرة المنطقة على إطعام نفسها مرة أخرى.

وبينما يصور ديفيد كامبيرون، وزير الخارجية البريطاني، نفسه وهو يدفع شحنات المساعدات البريطانية إلى طائرة في الدوحة متجهة إلى مصر، فإن الإسرائيليين في الطرف الآخر من سلسلة التوريد يبذلون كل ما في وسعهم لعدم وصول طوفان المساعدات إلى القطاع.

هناك انتظار لعدة أسابيع حتى تصل الشاحنات إلى غزة. ويمكن تفريغ الشاحنات وتحميلها عدة مرات. وإذا تم العثور على عناصر محظورة في الحمولة، تذهب الشاحنة إلى الجزء الخلفي من قائمة الانتظار وتبدأ العملية برمتها من جديد. وحسب ما ورد رفضت "إسرائيل" مواد مثل منتجات النظافة النسائية وأدوات اختبار المياه ومعقمات الأيدي.

وحيثما تصل المساعدات الطارئة، يتم استهداف الجياع بالدبابات والقناصين. لقد تم الآن تسجيل العديد من الأمثلة على ذلك، ولم يعد من الممكن اعتبار ذلك عرضياً. قال مراسل ميدل إيست آي في غزة: "يصطف الناس في المنطقة للحصول على المواد نظراً لعدم وجود فرق للمساعدة في عمليات التوزيع. وهناك أعداد كبيرة من الناس هناك... لذلك عندما تهاجم القوات الإسرائيلية المنطقة يسقط العشرات من القتلى".

تعرضت طوابير المدنيين في دوار الكويت بالقرب من منطقة صلاح الدين مؤخراً لهجوم شنته القوات الإسرائيلية، مما أسفر عن مقتل ثمانية أشخاص وإصابة العشرات. ويوم الخميس، قتلت القوات الإسرائيلية ما لا يقل عن 20 فلسطينياً وأصابت 180 آخرين كانوا ينتظرون المساعدات الإنسانية في مدينة غزة.

## الضحك وإطلاق النار

القليل من هذا جاء عرضيًا، أو نتيجة لضباب الحرب. كل ما يحدث محسوب وحدث حسب التخطيط. وفي مواجهة رفض مصر السماح بنزوح جماعي للفلسطينيين إلى سيناء، كلف رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وزيره للشؤون الإستراتيجية، رون ديرمر، بوضع خطة "لتخفيف" عدد سكان غزة من خلال تمكين "هروب جماعي" للفلسطينيين إلى أوروبا وأفريقيا عن طريق البحر.

والخطة، التي كشفت عنها صحيفة "يسرائيل هيوم" لأول مرة، تم تداولها بكثافة بسبب "انفجارها الواضح". وتقول الخطة إنه إذا كان بمقدور ملايين السوريين والليبيين والتونسيين ركوب القوارب للفرار من الحرب الأهلية والفقر؛ فلماذا لا ينطبق الشيء نفسه على الفلسطينيين؟

على الرغم من أشهر من لي الذراع من وراء الكواليس من قبل الرئيس الأمريكي جو بايدن، إلا أنه ليس هناك ما يشير إلى أن نتنياهو أو الجيش ينحرف عن خطة جعل غزة غير صالحة للعيش إلى الأبد. وكلاهما لهما أهداف مختلفة. يريد نتنياهو حربًا مستمرة وهو يعلم أنه بمجرد أن تتوقف فإن ائتلافه اليميني المتطرف سيتفكك. وهو في ورطة كبيرة حيث يتعين عليه الرد على الثغرة الأمنية الهائلة التي سمحت لحماس بالاستيلاء على جنوب "إسرائيل" في تشرين الأول/أكتوبر. ولن يرضي اليمين المتطرف سوى هجرة جماعية كبيرة للفلسطينيين من غزة.

إن القيادة العليا للجيش لا تهتم كثيرًا بالاحتلال الدائم لغزة، وهي تقاوم الأوامر بإعادة احتلال ممر فيلادلفيا حول معبر رفح مع مصر. وهي تريد استعادة الشرف المفقود وإعادة بناء الردع مع حماس. ولكن في الوقت الحالي، يعمل الاثنان جنبًا إلى جنب. وليس هناك ما يشير إلى أن "إسرائيل" تتخلى عن خطة استراتيجية لإفراغ غزة من جزء كبير من سكانها.

يصور الجنود أنفسهم وهم يشمتون خلال قيامهم بتدمير مناطق بأكملها من المنطقة. هذا هو المزاج السائد في "إسرائيل". لقد توقف الجنود منذ فترة طويلة عن "البكاء وإطلاق النار"، واليوم يضحكون ويطلقون النار.

إن الاحتمال الوشيك لوفاة عشرات الآلاف من الأشخاص في غزة بسبب المجاعة والمرض يسلط الضوء بشكل قاس على رفض المجتمع الدولي القيام بأي شيء للتخفيف من هذه المعاناة الجماعية التي هي من صنع الإنسان، والتي تنتهك علنًا اتفاقيات جنيف وجميع قواعد الحرب وترقى إلى مستوى الإبادة الجماعية - سواء حكمت محكمة العدل الدولية في نهاية المطاف على هذا النحو أم لا.

يتجاهل نتنياهو علنًا مطالب الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي بعدم إعادة احتلال غزة، وعدم وجود ممرات أمنية على طول الحدود الحالية مع "إسرائيل"، وعدم فرض عقوبة جماعية على السكان المدنيين، وضمان مرور الغذاء والماء. ولا تزال "إسرائيل" لا تواجه أي عقوبات بسبب هذا السلوك.

## سياسة التظاهر

أما بالنسبة لكامبيرون، فهناك نفحة واضحة من الحنين إلى محاولته إعادة صياغة قذائف المدفعية الأميركية والقنابل الذكية التي تزود بها "إسرائيل" من خلال قاعدة سلاح الجو الملكي البريطاني في أكروتيري في قبرص، باعتبارها مغامرة تتسم بالاهتمام والمشاركة ومحبة الناس.

لا ينبغي لأحد أن ينسى مساهمته الشخصية في كارثة التدخل العسكري في الشرق الأوسط، التي تمثلت في الإطاحة بمعمر القذافي في ليبيا والحرب الأهلية التي أدت إليها، ولكن حتى لو أصيب جمهوره بنوبة مفاجئة من فقدان الذاكرة فإن سياسته بشأن غزة هي سياسة وهمية.

وفي حديثه على صوت المحركات النفاثة في قاعدة العديد الجوية في قطر، قال كاميرون إن أيًا من المساعدات المخصصة لغزة لن تعمل بشكل صحيح ما لم يكن هناك ”وقف فوري للقتال“. ذكرني، كم عدد الأسابيع التي تلت 7 تشرين الأول / أكتوبر، وكيف قاومت بريطانيا الدعوات إلى وقف فوري لإطلاق النار على أساس أن لـ ”إسرائيل“ الحق في الدفاع عن نفسها؟

“It’s vital that we make this aid contribution to help people in Gaza. But it’s also vital that we work hard to make sure that aid can actually get in.”

Foreign Secretary @David\_Cameron in Qatar 🇶🇦 pic.twitter.com/CuBzJ7aTB2

– Foreign, Commonwealth & Development Office (@FCDOGovUK) January 26, 2024

ثم قال كاميرون إن وقف القتال يجب أن يتحول إلى وقف دائم لإطلاق النار. هل كان يستمع إلى ما يقوله نتنياهو؟ قال مكتب رئيس الوزراء في وقت سابق من هذا الشهر على إكس: ”لن يوقفنا أحد – لا لاهي، ولا محور الشر [الذي تقوده إيران] ولا أي شخص آخر“.

ألا يفهم كاميرون أن اللحظة التي ينحرف فيها نتنياهو عن هذا الخط تعني خسارة حكومته، وربما أيضًا حرته في قضايا الفساد الوشيكة؟ ويواصل كاميرون وصف ما ينبغي على حماس، المصنفة منظمة إرهابية في المملكة المتحدة، أن تفعله: ”علينا أن نرى قيادة حماس تخرج من غزة“. وهو ما لن تفعله أبدًا.

”علينا أن نرى تفكيك آليات حماس المتمثلة في القدرة على إطلاق الصواريخ والهجمات الإرهابية على إسرائيل“. هل خرج الجيش الجمهوري الأيرلندي من الخدمة قبل أو بعد التفاوض على اتفاقية الجمعة العظيمة؟ متى تخلى التمرد عن أسلحته قبل التوصل إلى اتفاق سلام؟

”علينا أن نرى سلطة فلسطينية جديدة قادرة على توفير الإدارة والخدمات ليس فقط في الضفة الغربية، وإنما في غزة أيضًا“. لكن السلطة الفلسطينية حاليًا غير قادرة على حكم نابلس ورؤية أن هناك طريقًا من ما نحن فيه الآن إلى دولة فلسطينية. وهذا هو ما يتفاخر نتنياهو الآن بأن مهمة حياته كانت تهدف إلى منعه.

وكان من الواجب على كاميرون أن يقول من مدرج العديد المزدحم إن الأمر لا يتطلب أقل من تغيير النظام في تل أبيب حتى تتحقق مثل هذه الخطة. وعليه أن يوضح مسؤوليته عن هذه المذبحة. لقد كان التقاعس المتسلسل عن الدولة الفلسطينية من قبل كاميرون، إلى جانب أسلافه وخلفائه – مع الحكومة التي هو الآن عضو فيها والتي لا تزال لا تعترف بفلسطين كدولة – هو الذي خلق الجمود السياسي الذي أدى إلى تجدد التمرد الذي نراه اليوم، ليس في غزة فحسب بل في جميع أنحاء الضفة الغربية المحتلة.

قضية قطرات الهواء

إذا لم تمثل ”إسرائيل“ لقرار محكمة العدل الدولية واستمرت في تأخير المساعدات على الحدود واستهداف المدنيين الذين يصطفون في طوابير للحصول على الغذاء – كما أتوقع تمامًا أن تفعل – فسوف تتزايد الضغوط على المملكة المتحدة والولايات المتحدة لبدء إسقاط المواد الغذائية جوفًا على غزة نفسها.

والحرب ليست عائقًا أمام ذلك. وقد تم ذلك في جنوب السودان وجمهورية الكونغو الديمقراطية والبوسنة. فلماذا لا يمكن أن يتم ذلك في غزة؟ قاد الأردن وفرنسا الطريق من خلال

عمليات إنزال جوي محدودة لدعم مستشفى ميداني أردني. فما الذي يمنع بريطانيا والولايات المتحدة من القيام بنفس الشيء؟

من الواضح أن الجواب هو "إسرائيل". دعونا نكون واضحين بشأن ما هو على المحك هنا. ومهما حدث فإن "إسرائيل" لن ترغب في خسارة احتكارها لفرض الحصار على غزة، الذي فرضته لأكثر من ستة عشر سنة.

إن الحصار، الذي يسمح لـ "إسرائيل" بضبط درجة الألم الذي تلحقه بكل نفس حية في غزة، هو السلاح الأثمن والأكثر شيطانية في ترسانة أسلحتها. وإذا خسرت ذلك خسرت الحرب. ويعتبر هذا الأمر على المحك في حكم محكمة العدل الدولية - ولماذا تعتبر هذه لحظة فاصلة؟

المصدر: ميدل إيست آي

رابط المقال: <https://www.noonpost.com/195904/>